

الزمان



رسالة بغداد

إنعقاد مجلس الصدر الشهري

23 كانون الأول (ديسمبر)
يقعد مساء اليوم الثلاثاء، مجلس سماحة السيد حسين محمد هادي الصدر في مدينة الكاظمية بالقرب من ساحة عبد الحسن الكاظمي، وقالت رسالة تلقها (الزمان) عبر فاير امس أن (مجلس الصدر ملتقى العلماء والباحثين وواحة الأدب والثقافة (مجلس الصدر) رواد وأحباب طاب لقاؤنا فإتينا فيهم وقد طابوا ولا غرابة إن جازوا على شُفَع فخير ما يجتنى علم وأداب انكم -أيها الأعبة -على موعد مع (مجلس الصدر) -الذي ينعقد آخر ثلاثا، من كل شهر -وبحضوركم ومدخلاتكم القيمة تعظم فاعلمية، وتشدت حركته، وتكثر فرص الإفادة منه، وتمتد إيجابياته لتشمل تعميق الأخاء الوطني، وتقوية النسيج الاجتماعي العراقي، وتوثيق أواصر الصلة والمودة بين المشاركين، فضلا عن نفحات الإبداع والأصالة الفكرية والعلمية والأدبية والثقافية التي تحدد إطاره العام وتضخم عن هويته وحقيقتة. انه المائدة المدودة للرواد، لكن لا لتقديم الطعام، بل للإتحاف بروائع الكلام ... أهلا بكم ولكم في كل خطوة ألف مرحب /الزمان / مساء الثلاثاء، 2018/12/25 / الساعة السابعة / المكان : مكتب سماحة السيد حسين الصدر في الكاظمية بالقرب من ساحة عبد الحسن الكاظمي.

نص

أبواب هائمة



عبد الرحمن طهمازي

بغداد

"بقية القصة مع القصص"

الحلاج

سأني أن أتأخر في الانضمام إليكم أيها الباحثون عن الباب الخلفي للطبيعة وقد احسست بغموض مؤكّد أنّ جهلي يكنز من المجاهيل ما ينوء به حملي . لم أستطع التخلّف من ذلك الأفضل معرفتكم التي تتواءم معي بين الحين والحين فنحن نقوم باشتباكات قصيرة مع المصير نخرج منها لا غالب ولا مغلوب. اخترقنا الاضطراب وطال علينا الأمد . وما نحن لا ندري ما الذي نفعل بقويدنا ولا ما نفعله فينا ، فهل نحن جديرين بالذهاب معاً الى الباب الخلفي للطبيعة دون أن نأخذ معنا لغتنا المتخالفة العاجزة المعجزة ونتوقف هنيهة في أيما مكان ، نحن موتى الراحة ، وتتعرف على وجودنا الكامل ، حيث يتربع ذلك الباب الخلفي بيننا على مستطيل كتيب : أه .. أماذا هو الباب الذي أردناه مغلّقاً وإذا به مفتوح منذ أن كان ثمة شيء اسمه طبيعة. ماذا خسرتنا وما الذي ستخسرنا الطبيعة . إنّ الأرياح متعادلة في الخسائر أيضاً ، وإذا تردّدتنا على المصير الذي كان تقصيرنا فادحاً في حقّه . إنّ فالطبيعة ليس لها باب وحيد، وأنما هي أبواب هائمة على العتبات يجثو الأفراد الذين تلهيمهم الجماهير الجاحدة. المنظر الوحيد الذي اعتدنا عليه: مستقبل معتدى عليه نراه كلّ وقت متشرّداً تصطفق دونه الأبواب . تلك عقيدتنا التي يرعاها الخمول المستبدّ. اعذرني يا ربّة القصيد التي توثي في نثر متلكّي: ألم تعرف بعد مطايا التجدي التي لحسن حظها لم يعثب بها الوليد.

في بواكير الفصول يعود الصبا الصحيح الى بناييع الحواس يتلقّى الحياة في وادينا المغبون ، وهامي تقوم بتجسين نفسها حيث اللذة المباغتة.

يا هذا لا تترك البلاغة الطائشة على هواها فالسبك العراقي لا يقبل الهراء ، دع نقرة الوسطى خفية على الدف الطائر وترقّق ولا تضغط الكلمات فالحروف النائمة فيها ستفرط ولن يعود السبك عراقياً ولا الصبا الصحيح صبا صحيحاً ولا الأشياء في التناول الطازج. لاشئ يسك بشئ ... المفاصل.. المفاصل.. صاح الشايخ : انفصلت.. يا أخواننا المتواضعين تحققوا من الحجارة التي تحتمك حتى ولو كانت صغيرة فأنّها ثابتة مادامت في مكانها. هكذا والا فلا كما كتب ابيلاز أمام أوراها.

صاح المشايخ صبيحة واحدة : هذا وقت يتربّع .. وحدكم الذين لا تنزلقون. اخرقوا العادة قبل أن تخرقكم العادات .. تعلّموا الكلام مع انفسكم طويلاً حتى يقلّ خطره ، وكفوا عنه آنذاك واطمنوا الى الصمت النفساني. لا تنتقلوا في الصهاريج الماجنة فليست هي روعة الفجر . اقبلوا الروتين المتوقّع واقطعوا عليه الطريق .. ليس هذا وقت راحتكم لتأخذوها . الوشح يتربص هناك عند وهم الباب الخلفي للطبيعة . انكم الآن على مسافة قريبة من انفسكم اللطيفة.

المشايخ يقولون : البقية ستكون من حصتكم دون دليل جاهز . وهنا عليكم القبض على القدر بالتمام والكمال. لا تسمحوا لبذرة منه أن تطير منكم فهي ستتمو على نسيانكم وعلى لعنة الوجود الذي انقضتوه.

الخبرة واحدة لا تتكرّروا منها. ذلك هدرٌ فلسفيّ. تستطيعون اقتسامها . لا تزجوا بها في شؤون كثيرة، أنّها اذن باهتة . لا تسرعوا متوسّعين في التقيب عن أحلامكم. دعونا من التذرع بالباب الخلفي.

الهارب يتنوّع ويسخر قريباً وبعيداً، لاشئ في الوسط لتقبض عليه، هذه هي أيضاً ألياف الماضي التي تلتقّ على الحاضر لئلا يرفّ له جفن لتدنين المستقبل. الأبواب الهائمة على العتبات مصنوعة من ألياف الماضي المضغوط التي لا يطيقها المستقبل المتشرّد. لابدّ أن تتحسّن نسيج هذا الوادي . لا بدّ أن تحرس الصدى. لابدّ أن تقوم بأشياء عديدة لاثبات جدارتك العقيمة وتتفرّج عليها ببلاهة لا انسانية. الويل لكم أيّها الأشباه الذين لا يندى لهم جبين وقد جفّوا في القوالب الفضفاضة حتى تظنّرت أنيابههم والأضراس فانتهبها الشيطان المارد فكّتها تقريبا وأبقى لكم المضغة اللاصقة على اللهاة الآن تستطيعون التمرّع على أبواب الطبيعة الخلفية وتنبشون فضلات الذاكرة - ما الذي حلّ بكم وحلّ بنا؟ لانعرف الاتجاه.

- بماذا اقايضكم يا لصوص الحياة. يا متاع الغرور.
- ما زبده هو أن لاتناتي لنا بالبوصلة
- لا ينفع معكم شيء . لا نفع منكم.

قبل أن ينتهي الكابوس غير المزجج وغير الطارئ استعدّ النيام للآرق الأبدى . انه استعداد الغريزة الذي لا خيار فيه ويتدرّبون على الهزائم الشريفة . الغريزة ليست تشريفاً أو مسؤولية ، ويقف أمامها قاضيتها الوحيد. يقف وراءها أيضاً إذا نعمنا النظر في الأحوال الغامضة وفي صراحة الليل والنهار ، لكنّ الأرق شيء آخر يجلب أشياء أخرى ثمّ لا نعرف ما هي هذه الأشياء. أين هم علماء الترمّات ؟ اين أرامل الأحزاب المقدّسة وإيتامها الذين لم يشبوا عن الطوق؟

- ما من دواء لجروح نرسيس.

ومع مرور الوقت وإيدانه ستختلط الغرائز فيما بينها وتمتعق ويصير الجسد الكامل البالي. ولن تنفعا تحية الصباح كما استدرك الملك الضليل . الأرق شيء آخر لم تصمد بابل خزايبه. الأرق الأبدى سيبقى في حسان الشعوب. الغرائز تشبخ منذ الصبا ويهدأ الأرق بطاقة الموت الشحيحة التي تسوّغ الهلاك في البيوت.

الشعب اختار أعداءه بسرعة واصدقاه على نحو أسرع ، وتركهم يتسابقون أمامه وخلفه مختلفين دون أن يصرحه النعاس وقام بتشجيعهم معاً ينهر هذا ويشترّب الى ذاك، وهم يتموجون ويهاجمون خياله بذاكرته الكسول التي لم ينظّفها فالهاوية تصيح في رأسه: هل من مزيد ، هناك المزيد من التطوعين الأحرار والشعب يتهدّل ويتشجّع على جبل الأرق المقتول لا يدري متى ستنتقل اللعبة. هذا هو مستنقع الصدا ، من أين أتيت بهذا النبوغ الطريف وأنت في هذه الحال، هذا الأرق صار يقظتك الزائفة التي خانتك وأنت تحمق في الغامض والرطب. أغرب عن وجهي مع صفاتك الملمة ، أغرب وستجد هدايا الغيب تنتظرك على باب خيمة هولاء، المفتاح هو القفل ، تستطيع الآن أن تنقلب على جنك الأيسر وتقلب المعادلة : يزورك هولاء في بلاط ليقدم لك مصيرك هدية : القفل هو المفتاح عفا الله عمّا سلف يا ابن التجربة المناسبة . يا ربّ البهائم هذه هي الذئاب تدوس على أذنايبها تلمم وجوهها وتصول. اللعنة على المقبل والمقبول.

ظّل الأرق يمتصّ الغرائز التي اتحدت في المؤخرة الفضائية . هنا قلنا نحن الذين نقوم بزهات أدبية قصيرة. قلنا: اذن هناك أمل . فالجدران التي نهضت في الفضاء عازلة الضوء عن الظلمة كانت هي معجزة الشعب المازوق الذي أحسّ لتوه بالصوت الذي ظل محبوساً لسبب من الأسباب : أنا بحاجة الى بغداد ، بغداد بحاجة اليّ. على مهلك يا عازف الناي .. اهبط بلحنك لنتمكّن من النزول الى الشاطئ .. ونواصل البحث عن الأبواب وندخل ردهات الشعور مهما كانت التكلفة ، انا الآن يا ربّي .خارج احيوات الصيادين المخروطية ، ها هي الأصوات تصعد ثم تنزل مصحوبة بعناقيد النور، أمّا نحن حديثي العهد بمصائرنا ، فنسنسّر مع كلاب الحراسة على ايقاعات ذيولها تسبقنا الأحلام الفطيرة منحنية بين الكوابيس التي تراجع الى خطوطها التي انطلق منها الأرق ، الأزل الملتبس بالأبد.

على كلّ حال فقد عادت الأشياء الى نصابها الذي تعرفه الغرائز الخنثوية وتعيد بناه بالانهاام المتكامل داخل

وخارج المجاميع غير المنتظرة التي تحفّ بالأقدار. ذلكم هو أمر الأمور :التصديق ثمّ تكذيب... التكذيب ثمّ تصديق .. وهكذا دواليك. وجنّك تنتظر من الداخل ولا تستقبلها في الخارج الشعراء لا يجيدون التصفيق للنثر الصامت .. لقد تطوّعت الأميّة بالتيابة عنهم. واحتملت السذاجة بوكلائها المخضرمين . من اليسار الى اليسار حتى اليمين. تلك هي الحركة التي يتلقّفها أي تفسير وهي في بحبوحة الزمن في ميعة الصبا وفي أرذل العمر. أيها الربيع المشوش .. انها الغابة التي تتعزى لنفسها .. أيها القارئ الصامت أنت أخي بحق .. أيها الجمال الذي تتابعه الغزلان وتشمه بحذر حريص.. كلّ شيء يمرّ بطريقه الى أن يلتمس الزمان وتعادل مواضعه بعد أن وجدته ملجأ لها كما الماء الذي تستبطنه فلاة ما ليصير من مكوناتها المثالية ... كم يلزمننا من الغباء لكي نتسابق معك؟ أيها الزمان : قليل من الغباء يساوي الكثير منه .. نسبق أنفسنا في السرد المتخالف للنهاية التي تتهقر الى البداية.. وأنت أيها الزمان ، الذي أعاني من سلامته، أنت التعامل الوحيد الذي تنشأ الدوائر في مركزه والمحيط، لقد تعلمنا منك فنون الدفاع والاندفاع ولم نتعلّم مراعاة الاختلاف لانا لم نجد غيرك حين تزداد قابليتنا على القلق ، وما دام النوع متمسكاً بالأفراد فإن النوافذ ستتمسّع في نزعتها الى النور وتنتج تجربة الأنواع في الأفراد وتتعرّك بما يبدو للمواهب الناشئة انه فشل ذريع.

سيلزم الشيخ المدبّ الصمت ملزوراً في الفجوة ذات الأسنان حيث يهجس منيته على عتبة الباب الخلفي ولن يدلي بشهادته على براءة الجميع . بالهول التسويات التي لا تجد موضوعها بين فنون القول. هكذا هو الامر المفعول: دهاقين الظلام يبهبون الأضواء نهياً وداعاً أيّها التكرار المتهور المتضابق.. وحيله بعضا الذأف المثيرة.. وشجاعة اللسان المبين.. واسلم الشيخ روحه يدأ بيد صاكاً فكّيه على لحظة واحدة مختنقة.

الان ، الان : ربما خرج التوقيع على الخط.

